تأليف : محمود شيخ روحه



سرّ النجاح

الشركة التونسية للتوزيع

رَجَعْتُ مِنَ
الْمَدْرَسَةِ
فَوَجَدْتُ حَرَكَةً
غَيْرَ عَادِيَّةٍ
بِالْمَنْزِلِ .
وَقَرَأْتُ في
الْوُجُوهِ عَلَامَاتِ



الْحُزْنِ وَالْأَسَى . فَتَوَجَّهْتُ نَحْوَ أُمِّي أَسْتَفْسِرُهَا
وَأَسْتَطْلِعُهَا الْخَبَرَ .

– كُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرٍ ! أَبُوكِ يَا بُنَيَّتِي !
لَقَدْ زَلَّتْ بِهِ قَدَمُهُ بَيْنَمَا كَانَ عَلَى السُّلَّمِ
أَثْنَاءَ الْعَمَلِ .

ـ وَماذا حدَثَ لَهُ ؟ هَلْ أُصِيبَ بِسُوءٍ ؟

ـ سَقَطَ وَكُسِرَتْ رِجْلُهُ يَا نَجِيبَةُ !

ـ أَيَّةُ مُصِيبَةٍ حَلَّتْ بِنا يا رَبَّاهُ !



كَانَ أَبِي دَهَّاناً اشْتَهَرَ بِمَهَارَتِهِ وَحُبِّهِ لِعَمَلِهِ. وَقَدْ كَوَّنَ مَعَ ثُلَّةٍ مِنْ أَصْحَابِ مِهْنَتِهِ تَعَاضُدِيَّةً سَمَّوْهَا « تَعَاضُدِيَّةَ الاِزْدِهَارِ لِلدُّهْنِ وَالطِّلَاءِ » .

وَكَانَ هُوَ عَائِلَنَا الْوَحِيدَ وَلَا دَخْلَ لَهُ سِوَى مَا يَكْسِبُهُ مِنْ عَمَلِهِ. وَكَثِيراً مَا كَانَ يَغِيبُ عَنَّا مُشْتَغِلاً فَيَتْرُكُنَا الْأَيَّامَ وَالْأَسَابِيعَ وَحْدَنَا : أُمِّي وَأَخِي عَادِلٌ وَأَنَا.



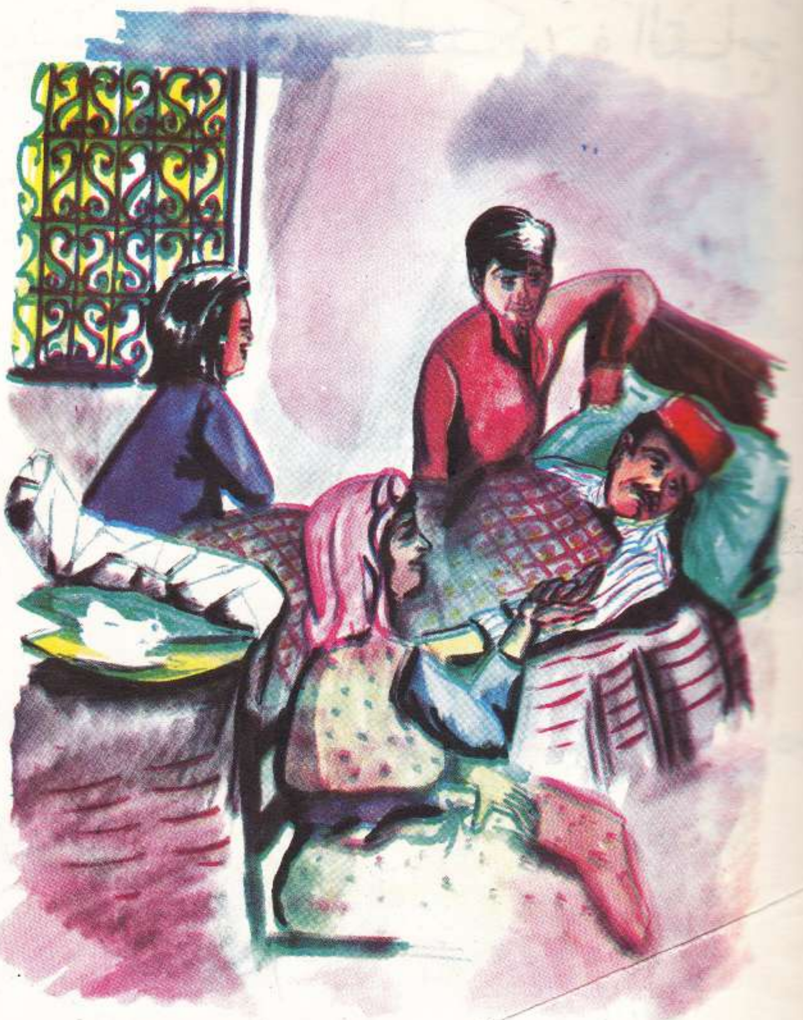
عَادِلٌ فِي الْعَاشِرَةِ مِنْ عُمُرِهِ.

أَمَّا أَنَا فَقَدْ تَجَاوَزْتُ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ بِشَهْرٍ

كَانَتْ أُمِّي لَاتَدَّخِرُ وُسْعاً فِي رِعَايَتِنَا وَالْقِيَا
بِشُؤُونِنَا سَوَاءٌ أَكَانَ أَبِي حَاضِراً أَمْ غَائِباً . وَكُ
نَحْنُ نُكَافِئُهَا بِالاِجْتِهَادِ وَالطَّاعَةِ .

لِذَا كَانَ أَبِي مُطْمَئِنَّ الْبَالِ أَحَضَرَ أَمْ غَابَ
صَارِفاً كُلَّ جُهُودِهِ إِلَى عَمَلِهِ كَيْ يُوَفِّرَ لَنَا الْعَيْش
الْكَرِيمَ .

غَادَرَ أَبِي الْمُسْتَشْفَى بَعْدَ أَنْ جُبِرَ كَسْرُهُ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَبْقَى مُلَازِماً الْفِرَاشَ أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ . فَعَمَّ الْأَسَى



وَالْحُزْنُ كَافَّةَ أَفْرَادِ الْعَائِلَةِ .

أَبِي عَطُوفٌ دَؤُوبٌ، وَكُلُّنَا نُبَادِلُهُ حَنَانًا بِحَنَانٍ وَمَحَبَّةً بِمَحَبَّةٍ . وَعَزَاؤُنَا الْوَحِيدُ فِيمَا أُصِيبَ بِهِ مِنْ مَكْرُوهٍ ، أَنْ بَقِيَ حَيًّا، نَأْنَسُ بِوُجُودِهِ بَيْنَنَا وَنُمَتِّعُ النَّفْسَ بِالْحَدِيثِ مَعَهُ .

كَفَى أَنْ يَبْقَى بَيْنَنَا الرَّأْسُ الْمُفَكِّرُ وَالتَّاجُ الْحَامِي ! نَحْنُ فِدَاهُ !



« أَكْثَرُ مِنْ شَهْرٍ فِي الْفِرَاشِ » ! فَمَنْ يُنْفِقُ عَلَيْنَا وَمَنْ يَعُولُنَا ؟

كَانَتْ لِأَبِي لَدَى « تَعَاضُدِيَّةِ الازْدِهَارِ لِلدُّهْنِ وَالطِّلَاءِ » بَقِيَّةٌ مِنْ سَاعَاتِ عَمَلٍ لَمْ يَسْتَوْفِ أَجْرَهَا ، فَأَرْسَلَ فِي طَلَبِهَا .



وَكَانَ مِنْ عَادَةِ أُمِّي أَنْ تَدَّخِرَ جُزْءًا مِمَّا يَشْتَرِيهِ أَبِي شَهْرِيًّا مِنْ زَادٍ ، فَتَجَمَّعَ لَدَيْهَا

نَصِيبٌ مِنَ الْمَؤُونَةِ وَجَدْتَهُ عِنْدَ الْحَاجَةِ.

أَمَّا تَعَاضُدِيَّةُ الاِسْتِهْلاَكِ الَّتِي تُزَوِّدُنَا عَادَةً ، فَقَدْ سَمَحَ لَنَا مَجْلِسُ إِدَارَتِهَا بِأَنْ نَتَزَوَّدَ بِمَا نَحْتَاجُهُ نَسِيئَةً* حَتَّى يَتَمَكَّنَ أَبِي مِنَ الرُّجُوعِ إِلَى عَمَلِهِ .



* باع البضاعة نسيئة : باعها بتاخير دفع الثمن

عادَ أَبي إلى الْمُسْتَشْفَى بَعْدَ أَنْ قَضى في الْفِراشِ أَرْبَعِينَ يَوْماً.

عادَ لِيَفْحَصَهُ الطَّبِيبُ وَيُزِيلَ الْجَبِيرَةَ عَنْ رِجْلِهِ.



وَفِعْلاً فَقَدْ أَزالَ الْجَبِيرَةَ وَرَجَعَ إلى الدّارِ.

وَلكِنَّهُ دَخَلَ يَجُرُّ رِجْلَهُ جَرّاً مُتَوَكِّئاً عَلى أُمّي.

فَقَدْ أَظْهَرَ الْفَحْصُ أَنَّ بِرِجْلِهِ عَجْزاً مُسْتَمِرّاً سَيُلازِمُهُ مَدى الْحَياةِ.

إِذَنْ سَوْفَ لَنْ يَرْجِعَ أَبي إلى عَمَلِهِ الْعادِي!

لَنْ يَرْجِعَ أَبِي إلىَ عَمَلِهِ !

خَبَرٌ أَدْخَلَ عَلىَ الْأُسْرَةِ هَلَعاً وَقَلَقاً عَظِيمَيْنِ .

لَقَدْ أَثْقَلَتِ الدُّيُونُ كَاهِلَنَا أَكْثَرَ مِنْ شَهْرٍ ،



وَاسْتَنْفَدَتْ أُمِّي جَمِيعَ مُدَّخَرَاتِهَا ، وَانْخَفَضَ مُسْتَوَى عَيْشِنَا * وَحَلَّتْ بِنَا خَصَاصَةٌ شَدِيدَةٌ .

فَكَيْفَ بِنَا وَأَبِي لَنْ يَرْجِعَ إِلَى عَمَلِهِ ؟ !

---

* يقال « انخفض مستوى عيش الانسان» إذا ضعف دخله بحيث لا يسمح له إلا بطعام بسيط ولباس متواضع ...

ويقال « ارتفع مستوى عيش الانسان » إذا ارتفع دخله بحيث يسمح له بان ينفق بسعة ودون خصاصة .



وَتكَلَّمَ عادِلٌ :
إنَّ أَبِي أُصِيبَ
فِي حَادِثِ شُغْلٍ،
وَقوَانِينُ الضَّمانِ
الاِجْتِماعِيِّ تَكْفُلُ
لَهُ تَعْوِيضَ
السُّقُوطِ الْحَاصِلِ
لَهُ ، وَلاَ بُدَّ مِنْ أَنَّهُ سَيَحْصُلُ عَلَى جِرَايَةٍ قَارَّةٍ .

أَلَمْ تَقُمْ بِالإِجْرَاءَاتِ اللاَّزِمَةِ يَا أَبِي ؟

الأَبُ : نَعَمْ ! قُمْتُ بِجَمِيعِ الإِجْرَاءَاتِ :
تَحَصَّلْتُ عَلَى شَهَادَةٍ مِنَ « التَّعَاضُدِيَّةِ » فِي أَنَّ الْحَادِثَ
حَصَلَ أَثْنَاءَ الْقِيَامِ بِالْعَمَلِ ،وَعَلَى شَهَادَةٍ مِنَ الطَّبِيبِ

فِي الْعَجْزِ ، وَقَدَّمْتُ سَائِرَ الْأَوْرَاقِ اللَّازِمَةِ ، وَعَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ حَتَّى تَجْتَمِعَ اللَّجْنَةُ الْمُخْتَصَّةُ وَتُقَرِّرَ قَرَارَهَا .

الْأُمُّ : لَقَدْ سَحَبْتُ الْأُسْبُوعَ الْمَاضِيَ مِنْ قِبَاضَةِ الْبَرِيدِ كُلَّ مَا جَمَعْتُهُ بِصُنْدُوقِ الِادِّخَارِ . وَقَدْ أَوْشَكَتْ هَذِهِ الصُّبَابَةُ عَلَى النَّفَادِ. وَالْآنَ يَا نَجِيبَةُ!، دَوْرُكِ قَدْ حَلَّ ! سَتَذْهَبِينَ مَعِي غَداً لِسَحْبِ مَا لَكِ مِنْ نُقُودٍ بِحِسَابِكِ فِي صُنْدُوقِ الِادِّخَارِ .

عَادِلٌ : ثُمَّ يَأْتِي دَوْرِي أَنَا يَا أُمَّاهُ! فَلَنْ أَبْتَاعَ الدَّرَّاجَةَ الَّتِي كُنْتُ أَجْمَعُ النُّقُودَ مِنْ أَجْلِهَا . سَأُرْجِئُ ذَلِكَ حَتَّى تَتَحَسَّنَ حَالُنَا .

لَقَدْ سَاءَتْ حَالُنَا الْمَادِّيَّةُ سُوءًا فَاحِشاً. فَأَثْقَلَتِ الدُّيُونُ كَاهِلَنَا، وَاضْطَرَّتْ أُمِّي إِلَى الْعَمَلِ طَلَباً لِلرِّزْقِ. فَقَرَّرَتْ أَنْ تَخْدِمَ فِي الْمَنَازِلِ. وَلَمْ تَكُنْ هَذِهِ عَادَتُهَا.

خَرَجَتْ إِلَى الْجِيرَانِ تَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الْعَمَلَ مُقَابِلَ أَجْرٍ.



فَكَانَتْ كُلَّمَا دَخَلَتْ مَنْزِلاً وَأَعْلَنَتْ رَغْبَتَهَا قَابَلَتْهَا رَبَّةُ الدَّارِ بِكُلِّ عَطْفٍ وَلُطْفٍ قَائِلَةً :

« مَعَاذَ اللهِ أَنْ تَكُونِي لِهَذَا! أَنتِ لَمْ تَتَعَوَّدِي الْعَمَلَ فِي الْمَنَازِلِ! هَذَا الشُّغْلُ لَيْسَ لِمِثْلِكِ! حَرَامٌ أَنْ يَصِلَ بِكِ سُوءُ الْحَالِ إِلَى هَذَا الْحَدِّ وَنَضِنَّ عَلَيْكِ بِالْمُسَاعَدَةِ! »

« نَحْنُ أَخَوَاتٌ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ... خُذِي... هَذِا مَا لَدَيَّ الْآنَ مِنْ نُقُودٍ. وَلَنْ تُرْجِعِيهَا إِلَّا أَنْ يُوَسِّعَ اللهُ عَلَيْكِ. فَلَسْتُ أَغْفِرُ لَكِ أَنْ تُوفِينِي وَلَوْ بَعْضَهَا مَا دُمْتِ فِي ضِيقَةٍ ».

مَـا أَعْظَـمَ

سَمَاحَةَ الجِيرَانِ !

لَقَـدْ غَمَـرُونَـا

بِـعَـطْـفِـهِـمْ

وَرَحْمَتِـهِـمْ .

وَلَكِنَّهُمْ أَيْضـاً

أَثْقَلُوا كَاهِلَنَا



بِكَرَمِهِمْ وَإِحْسَانِهِمُ الْوَافِرِ. فَبِتْنَا نَشْعُرُ أَنَّنَا عَالَةٌ

عَلَيْهِمْ ، وَأَنَّنَا حُرِمْنَا لَذَّةَ الْعَيْشِ مِنْ كَدِّ الْيَمِينِ .

فَالشُّغْلُ شَرَفٌ مَهْمَا كَانَ وَضِيعاً . وَلَيَدٌ عُلْيَا خَيْرٌ

مِنْ يَدٍ سُفْلَى * .

---

* يقال « اليد العليا خير من اليـد السفلى » اي اليد التي تعطي خير من التي تأخذ . ومن كسب قوته بكد يمينه لايحتاج ان يمد يده إلى الصدقة والعطاء .

لِذا لَجَأَتْ أُمِّي إِلَى إِنْفَاقِ رَصِيدِهَا بِصُنْدُوقِ الإِدِّخَارِ بَعْدَ أَنْ أَنْفَقَتْ رَصِيدَ أَبِي . وَهَا هُوَ دَوْرِي قَدْ حَلَّ .



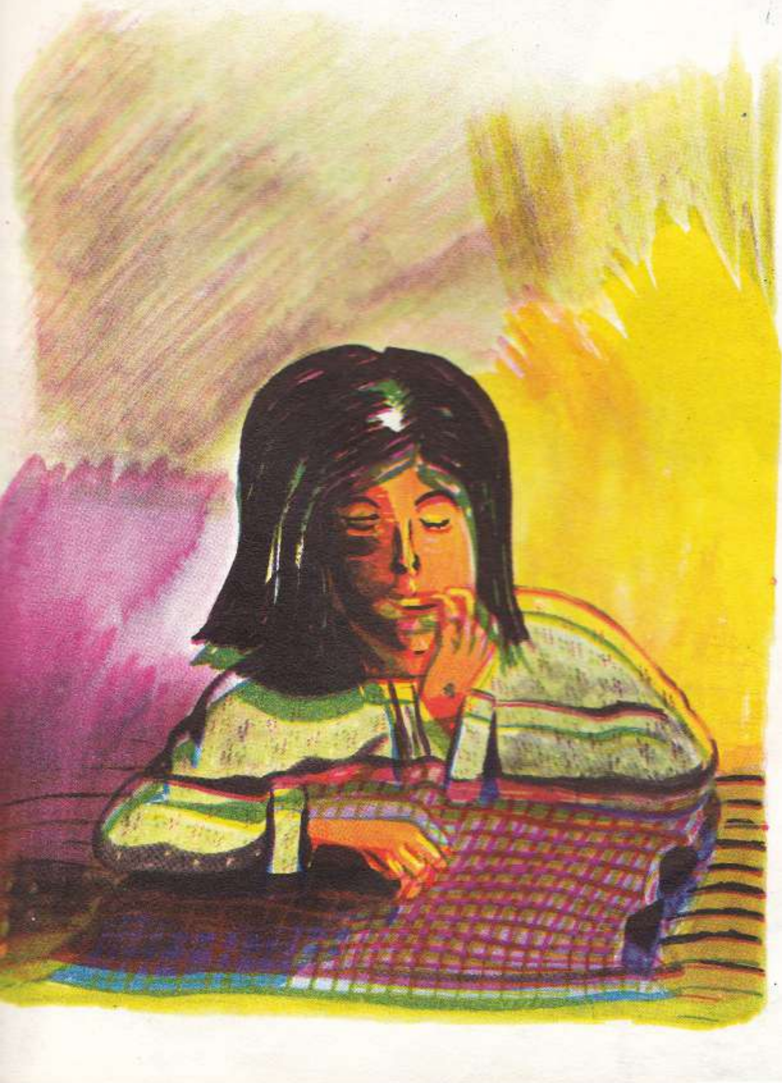
نَعَمْ ! قَدْ حلَّ دوْرِي ! غداً سأَسْحَبُ نقُودِي!

نُقُودِي الَّتِي جَمَّعْتُهَا وجَمَّعْتُهَا لِأَشْتَرِيَ دُمْيَةً كَبِيرَةً

- فِي طُولِي - !

نعمْ! سأَسْحَبُ نُقُودِي وأُسَلِّمُهَا لِأُمِّي كَيْ تُنْفِقَهَا !

فَذَاكَ وَاجِبِي نَحْوَ أُسْرَتِي !



وَبَعْدِي ،

سَيَفْعَلُ كَذَلِكَ

أَخِي !

مَا عَسَاهَا يَا

تُرَى أَنْ تُوَفِّرَ لَنَا

هَذِهِ الْكَمْشَةُ مِنَ

الدَّنَانِيرِ ؟!

إنَّهَا لَنْ تُوَفِّرَ لَنَا غَيْرَ مَصَارِيفِ أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ

نَؤُولُ بَعْدَهَا إِلَى الْعَجْزِ وَالْخَصَاصَةِ !

لَا ! لَا يَنْبَغِي أَنْ تَنفَدَ هَذِهِ الدَّنَانِيرُ الْبَاقِيَةُ !

عَلَيْنَا أَنْ نَسْتَثْمِرَهَا * فَنَسْتَدِرَّ مِنْهَا غَيْرَهَا !



---

* استثمر الارض : خدمها فحصل على نتاجها . واستثمر المال : استخدمه في صناعة او تجارة فحصل على ارباح .

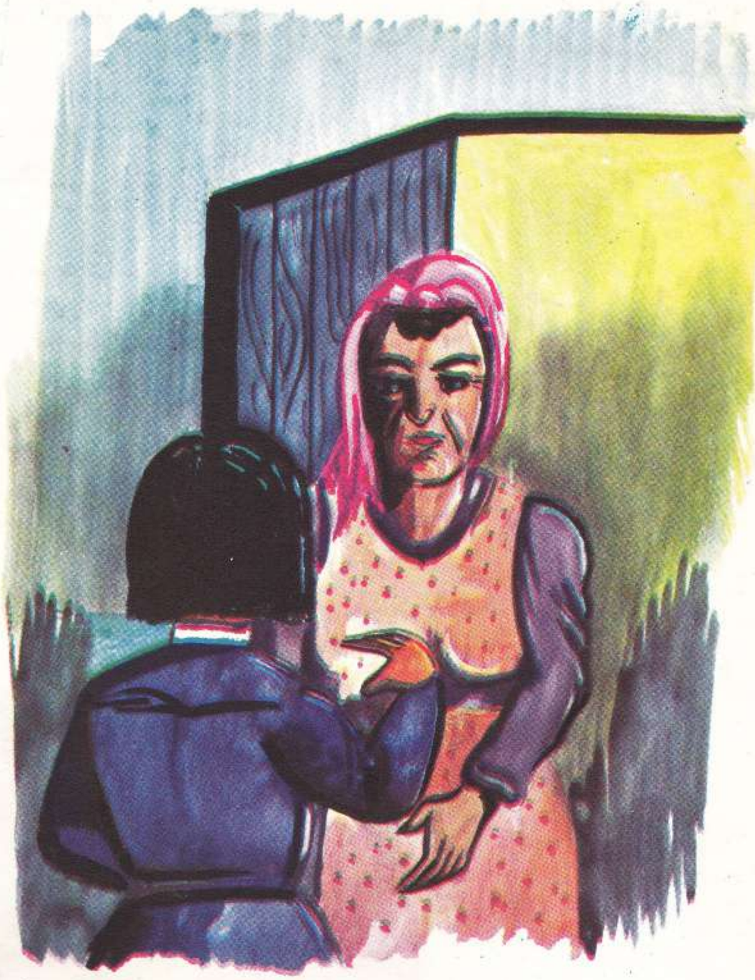
نَجِيبَةُ : لَوْ

نُبَكِّرُ يَا أُمَّاهُ إِلَى

قِبَاضَةِ الْبَرِيدِ

فَنَتَجَنَّبَ كَثْرَةَ

الزِّحَامِ !



ـ هَيَّا يَا

عَزِيزَتِي ! لَقَدْ

كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّكِ سَتُمَاطِلِينَ فِي سَحْبِ نُقُودِكِ، وَإِذَا

بِكِ أَحْرَصُ مِنِّي عَلَى ذَلِكَ ! هَيَّا نَذْهَبْ !

ذَاكِ وَاجِبِي يَا أُمَّاهُ ! فَكَيْفَ أُشِحُّ بِبِضْعَةِ

دَنَانِيرَ وَ فِيهَا إِنْقَاذُ أُسْرَةٍ أَنَا عُضْوٌ مِنْهَا : سَعَادَتِي فِي

سَعَادَتِهَا وَشَقَائِي فِي شَقَائِهَا ؟ !

ـ حُمِدَتْ مَسَاعِيكِ يَا نَجِيبَةُ ! إِنَّكِ لَمْ تُخَيِّبِي ظَنِّي !

ـ وَلَكِنْ ، لِي رَغْبَةٌ يَا أُمَّاهُ ! فَهَلْ تَعِدِينَنِي بِتَلْبِيَتِهَا ؟

ـ بِكُلِّ سُرُورٍ ، يَا عَزِيزَتِي ، إِذَا كَانَتْ فِي مَقْدُورِي !

ـ أَنْ تَصْنَعِي لِي طَبَقاً مِنَ « الْكَعْكِ » الَّذِي اعْتَدْتِ أَنْ تَصْنَعِيهِ فِي الْأَعْيَادِ وَالْمُنَاسَبَاتِ. أُرِيدُهُ لِي وَحْدِي !

ـ عَلَيَّ لَكِ ذَلِكِ يَا ابْنَتِي !

أَفَيَكُونُ هَذَا مُقَابِلَ كَرَمِكِ عَلَى الْأُسْرَةِ ؟

ـ عَفْواً يَا أُمِّي ! مَا لِهَذَا قَصَدْتُ ! فَلَا فَضْلَ لِي عَلَى أُسْرَتِي !

« الْكَعْكُ » الَّذِي تُعِدُّهُ أُمِّي مِنْ أَلَذِّ مَا يُشْتَهَى تَنَاوُلُهُ. تَغْبَطُهَا مِنْ أَجْلِهِ نِسَاءُ الْحَيِّ، وَيَسْتَدْعِينَهَا فِي الْمُنَاسَبَاتِ لِصُنْعِهِ.

وَكُنْتُ كُلَّمَا أَخَذْتُ مِنْهُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ قَوِيَ ازْدِحَامُ رَفِيقَاتِي مِنْ حَوْلِي وَاشْتَدَّ تَنَافُسُهُنَّ لِلتَّحْصِيلِ عَلَى كَعْكَةٍ أَوْ بَعْضِ الْكَعْكَةِ. وَكَانَتْ كُلٌّ مِنْهُنَّ تَتَفَنَّنُ فِي التَّوَدُّدِ إِلَيَّ كَيْ أَخُصَّهَا

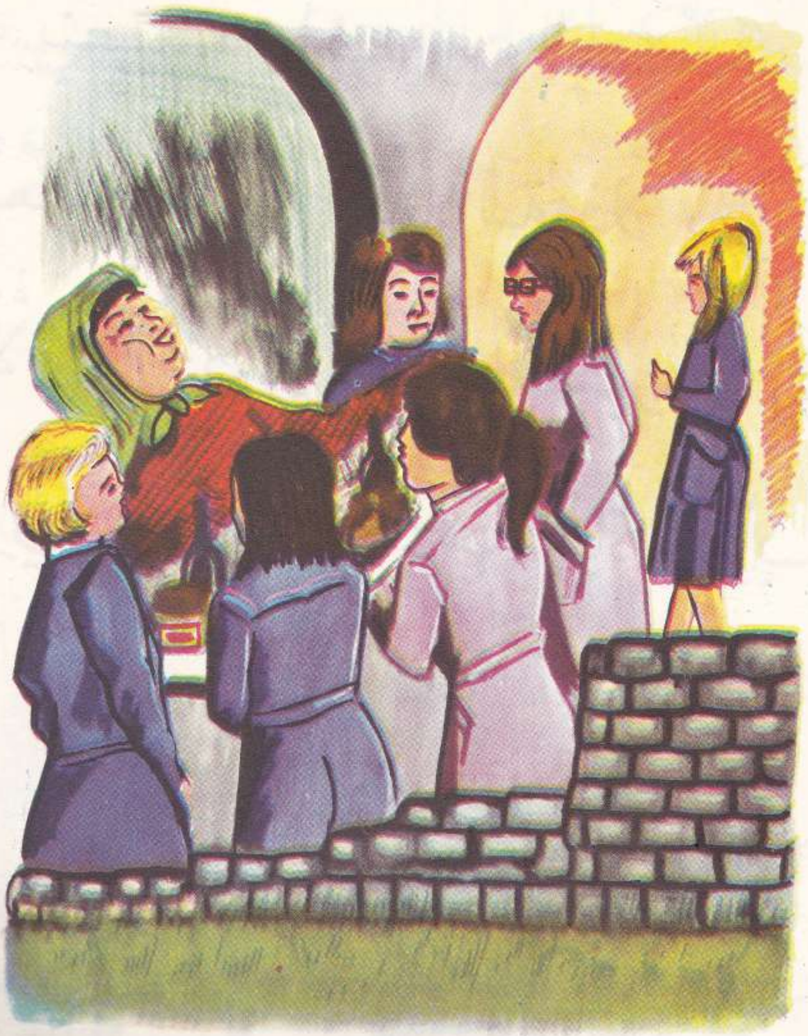


دُونَ قَرِينَاتِهَا بِنَصِيبٍ زَائِدٍ مِنَ الْكَعْكِ .

وَحَتَّى «أُمُّ السَّعْدِ» نَاظِرَةُ الْمَدْرَسَةِ فَلاَ يَفُوتُهَا نَصِيبُهَا ، بَلْ هِيَ الأُولَى تَحْصُلُ عَلَيْهِ وَتُسْرِعُ إِلَى مُدِيرَةِ الْمَدْرَسَةِ فِي تَسَتُّرٍ تُقَاسِمُهَا إِيَّاهُ تَقَرُّباً وَتَزَلُّفاً .



كَانَتْ « أُمُّ
السَّعْدِ » إِلَى جَانِبِ
أَشْغَالِهَا الْمَدْرَسِيَّةِ
تَبِيعُ لِلْبَنَاتِ
وَقْتَ الرَّاحَاتِ
بَعْضَ الْحَلْوَى
وَالْمَأْكُولَاتِ



يَتَعَلَّلْنَ بِهَا . كَلَّفَتْهَا بِذَلِكَ « التَّعَاضُدِيَّةُ الْمَدْرَسِيَّةُ »
مُقَابِلَ نِسْبَةٍ مِائَوِيَّةٍ مِنَ الْأَرْبَاحِ .
وَقَدْ تُعِدُّ أُمُّ السَّعْدِ إِلَى الْمُعَلِّمِينَ قَهْوَةً أَوْ شَايًا
وَحَتَّى طَعَامَ الْغَدَاءِ أَحْيَانًا .
هِيَ امْرَأَةٌ خَفِيفَةُ الرُّوحِ

تُحِبُّ الْعَمَلَ وَتَبْذُلُ الْعَوْنَ ، وَلَكِنَّهَا تَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ دُونَ مُقَابِلٍ .



عَلِمَتْ فَتَيَاتُ الْمَدْرَسَةِ وَأُسْرَةُ التَّعْلِيمِ بِهَا مَا حَلَّ بِوَالِدِي ، فَإِذَا بِي أُحْظَى بِالْعَطْفِ الْوَافِرِ وَالْمُوَاسَاةِ الصَّادِقَةِ .



وَكُنْتُ اقْتَرَحْتُ عَلَى مَجْلِسِ إِدَارَةِ التَّعَاضُدِيَّةِ الْمَدْرَسِيَّةِ أَنْ أُزَوِّدَهَا بِكَعْكٍ مِنْ صُنْعِ أُمِّي كَيْ تَبِيعَهُ أُمُّ السَّعْدِ لِلتِّلْمِيذَاتِ أَثْنَاءَ الرَّاحَاتِ. فَرَحَّبَ الْمَجْلِسُ بِاقْتِرَاحِي وَوَافَقَتْ مُدِيرَةُ الْمَدْرَسَةِ عَلَيْهِ .

لِــذَا ، طَلَبْتُ مِنْ أُمِّي أَنْ تَصْنَعَ لِي طَبَقاً مِنَ الْكَعْكِ .





لَبَّتْ أُمِّي
رَغْبَتِي
وَأَحْضَرَتْ لِي مَا
أَرَدْتُ .

أَخَذْتُ الْكَعْكَ
مَعِي إِلَى الْمَدْرَسَةِ
وَقَدْ ظَنَّتْ أُمِّي
أَنَّهُ هَدِيَّةٌ إِلَى صَدِيقَاتِي بِالْمَدْرَسَةِ وَعَدْتُهُنَّ بِهِ .
لَكِنْ مَا رَاعَهَا إِلَّا وَقَدْ وَضَعْتُ أَمَامَهَا فِي الْمَسَاءِ
صُرَّةً مِنَ النُّقُودِ ، وَطَلَبْتُ مِنْهَا أَنْ تَصْنَعَ لِي
فِي الْغَدِ طَبَقَيْنِ مِنَ الْكَعْكِ اللَّذِيذِ .

ـ مَاذَا يَا بُنَيَّتِي ؟ وَحَقِّكِ مَا فَهِمْتُ شَيْئاً !

ـ ذَاكِ ثَمَنُ الْكَعْكِ يَا أُمَيْمَةُ ...! هَذَا رَأْسُ الْمَالِ ، وَهَذِهِ الْمَكَاسِبُ !

وَقَصَصْتُ الْخَبَرَ عَلَى أُمِّي ، فَاسْتَغْرَبَتْ صَنِيعِي أَوَّلاً ، ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ شَكَرَتْنِي . وَأَسْرَعَتْ بِالْخَبَرِ إِلَى أَبِي ، فَشَكَرَنِي أَيْضاً .



عَلِمَ أَخي بِصَنيعِي فَصَمَّمَ أَنْ يَنْهَجَ نَهْجِي . وَإِذْ لَمْ تَكُنْ بِمَعْهَدِهِ تَعَاضُدِيَّةٌ مَدْرَسِيَّةٌ ، خَاطَبَ مُبَاشَرَةً فِي الْأَمْرِ مُنَظِّفَ الْمَدْرَسَةِ*، فَرَفَضَ. ذَلِكَ أَنَّهُ يَبِيعُ كَعْكاً مِنْ عَمَلِ زَوْجِهِ رَدِيءَ الصُّنْعِ رَخِيصَ التَّكَالِيفِ، يَبِيعُهُ بِثَمَنٍ غَيْرِ زَهِيدٍ. لَمْ يَنْثَنِ أَخِي

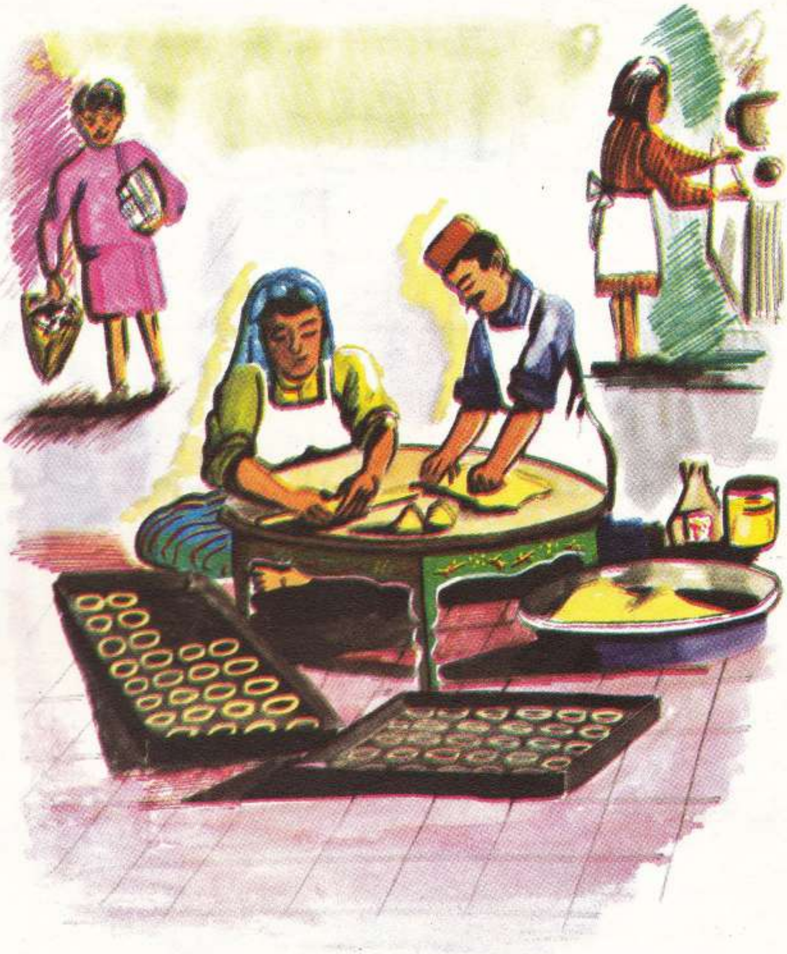


---

* خاطب منظف المدرسة في الامر : حادثه في الامر الذي يفكر فيه . والامر الذي يفكر فيه عادل هو بيع الكعك .

عَنْ قَصْدِهِ أَمَامَ رَفْضِ الْمُنَظِّفِ ، بَلْ تَوَجَّهَ إِلَى تَعَاضُدِيَّةِ الاِسْتِهْلَاكِ . وَكَانَ دُكَّانُهَا أَمَامَ بَابِ الْمَدْرَسَةِ . فَعَرَضَ عَلَيْهَا الأَمْرَ ، فَقَبِلَتْ . وَصَارَ عَادِلٌ يَحْمِلُ إِلَيْهَا الْكَعْكَ بِاسْتِمْرَارٍ . فَأُعْجِبَ بِهِ التَّلَامِيذُ وَصَارُوا يَتَزَوَّدُونَ مِنْهُ قَبْلَ الدُّخُولِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ . فَبَارَتْ بِضَاعَةُ الْمُنَظِّفِ ، وَكَسَدَتْ سُوقُهُ .

اشْتَهَرَ هـذا الْكَعْكُ بـ « كَعْكِ أُمِّ السَّعْدِ »وراجَ ـ لاَ بَيْنَ التَّلامِيذِ فَحَسْبُ ـ بَلْ وَفِي الْمَدِينَةِ بِأَسْرِهَا .



وتَهَاطَلَتْ عَلَيْنَا الطَّلَبَاتُ . فَكُنَّا نسْعَى دَائِماً فِي تَلْبِيَتِهَا .

وَلَمْ نَدَّخِرْ وُسْعاً فِي إِعَانَةِ أُمِّي الَّتِي كَانَتْ تَتَحَمَّلُ عِبْئاً كَبِيراً مِنْ جَرَّاءِ هذَا الْعَمَلِ . فَتَعَهَّدَ عَادِلٌ بِقَضَاءِ الشُّؤُونِ الْخَارِجِيَّةِ . وَأَخَذْتُ عَلَى

عَاتِقِي تَدْبِيرَ الْمَنْزِلِ. وَسَرَّ وَالِدِي مَا سَادَ أُسْرَتَنَا مِنْ تَعَاوُنٍ ، فَأَبَى إِلَّا أَنْ يُشَارِكَ أُمِّي صِنَاعَةَ الْكَعْكِ قَائِلاً : « إِنْ أَقْعَدَتْنِي عَنِ السَّعْيِ رِجْلِي، فَفِي يَدِي قُوَّةٌ مَوْفُورَةٌ » .



لَمْ تُلْهِنَا أَشْغَالُنَا الْمَنْزِلِيَّةُ عَنِ الأَعْمَالِ الْمَدْرَسِيَّةِ. بَلْ كَأَنِّي بِهَا قَدْ زَادَتْنَا نَشَاطاً وَانْدِفَاعاً فِي الْعَمَلِ. فَكُنَّا الْأَوَّلِيْنَ فِي قِسْمَيْنَا. وَتَحَصَّلْنَا عَلَى جَوَائِزَ عَدِيدَةٍ. وَخَصَّتْنَا أُسْرَةُ التَّعْلِيمِ بِوَافِرِ شُكْرِهَا. وَأَحْرَزَ كُلٌّ مِنَّا عَلَى مِنْحَةٍ لِقَضَاءِ شَهْرِ اصْطِيَافٍ مَجَّاناً.

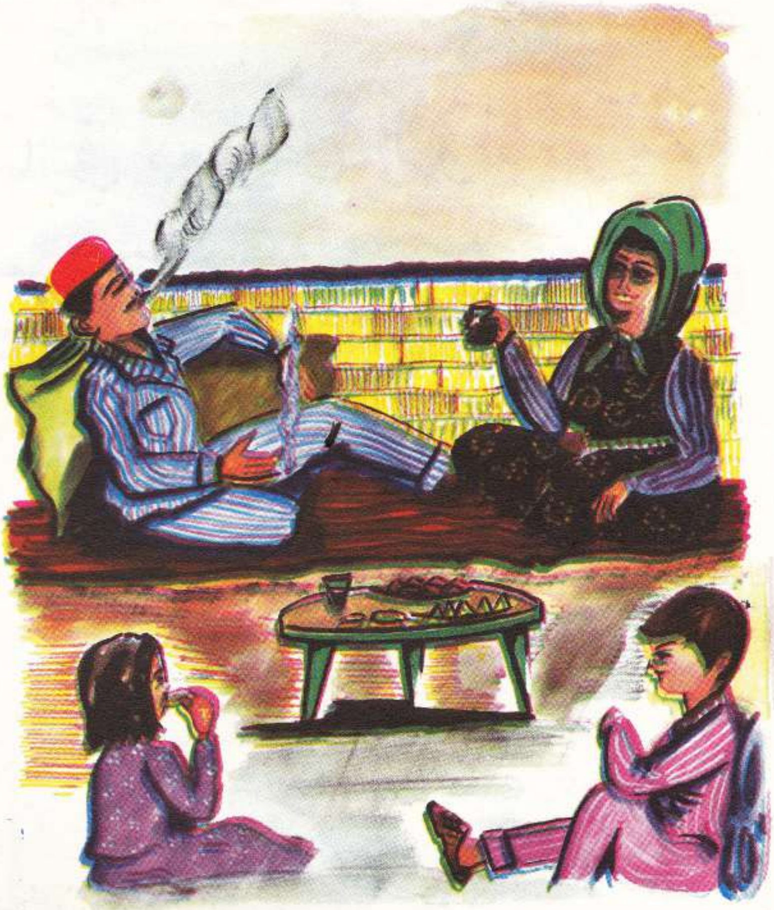


وَشَاءَتِ الصُّدَفُ أَلَّا نَتَمَيَّزَ فِي الْأُسْرَةِ بِهَذَا النَّجَاحِ. ذَلِكَ أَنَّ أَبِي كَانَ يَتَّخِذُ

مِنَ الرَّسْمِ هِوَايَةً يَشْغَلُ بِهَا وَقْتَ فرَاغِهِ ، فَأَنْجَزَ عِدَّةَ لَوْحاتٍ، شارَكَ بِهَا فِي مَعْرِضٍ لِهُوَّاةِ الرَّسْمِ، أَحْرَزَتْ إِعْجَابَ الْجَمِيعِ وَتَقْدِيرَهُمْ ؛ وَاقْتَنَتْ مِنْهَا الْبَلَدِيَّةُ عِدَّةَ لَوْحاتٍ .



حَلَّ شَهْرُ رَمَضَانَ. وَهَاهُوَ الْعِيدُ عَلَى الْأَبْوَابِ.



قَالَ أَبِي ذَاتَ لَيْلَةٍ: لَوْ فَكَّرْنَا فِي إِعْدَادِ أَنْوَاعٍ مِنَ الْحَلْوَى وَالْمُرَطِّبَاتِ (كَالْبَقْلَاوَةِ وَالْمُلَبَّسِ وَكَعْكِ اللَّوْزِ وَالْغُرَيِّبَةِ) فَنَبِيعُهَا بِمُنَاسَبَةِ عِيدِ الْفِطْرِ.

أُمِّي: «وَلَا تَنْسَ كَعْكَ أُمِّ السَّعْدِ الشَّهِيرَ!»

– طَبْعاً! طَبْعاً!

ـ فِكْرَةٌ نَاجِحَةٌ مَائِةً فِي الْمِائَةِ !

ـ إِتْقَانُكِ وَبَرَاعَتُكِ هُمَا ضَمَانُ النَّجَاحِ .

عَادِلُ : « لَا بُدَّ أَيْضاً مِنَ الْإِشْهَارِ* وَمِنْ صُنْعِ عَيْنَاتٍ نَعْرِضُهَا فِي لَيَالِي رَمَضَانَ . »

---

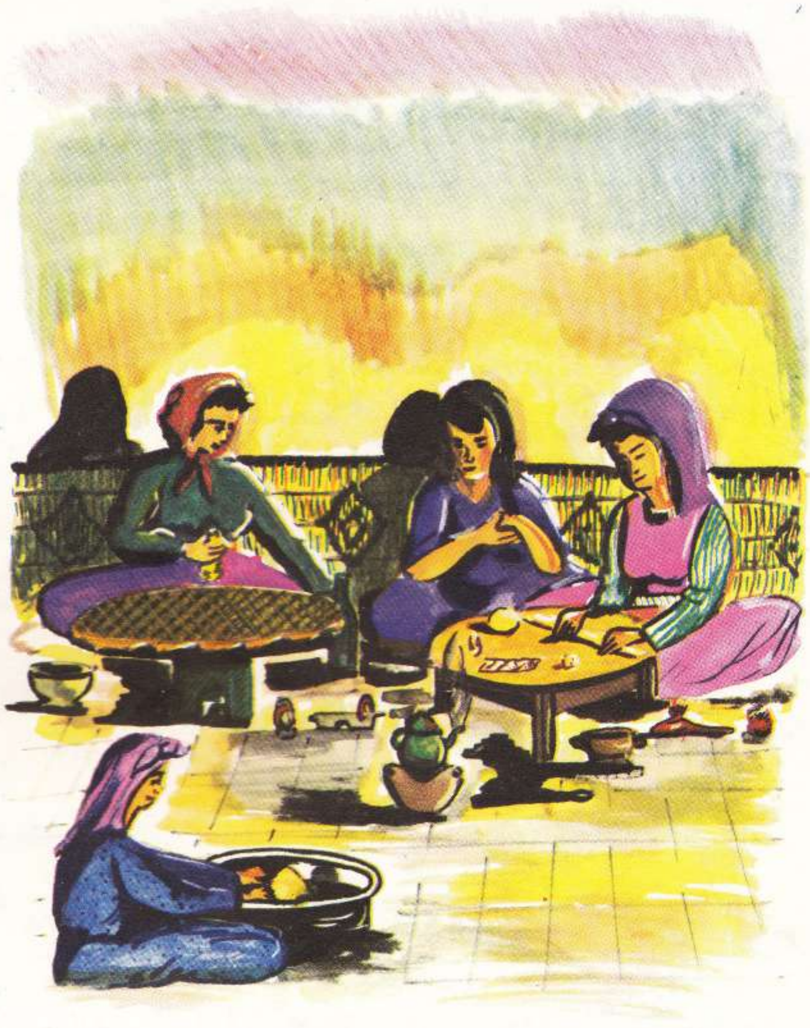
* الاشهار : الدعاية : الاعلان عن بضاعة او غيرها ، وترغيب الناس في اقتنائها والاقبال عليها ، وذلك باظهار محاسنها وفوائدها .

نَجَحَت الْفِكْرَةُ ، وَكَانَتْ أُمِّي - حَقًّا - سِرَّ نَجَاحِهَا ، بِفَضْلِ تَفَانِيهَا فِي عَمَلِهَا وَحِرْصِهَا عَلَى إِتْقَانِهِ .

فَقَدْ تَلَقَّيْنَا طَلَبَاتٍ كَثِيرَةً لِلْعِيدِ .

وَلَمْ يَكُنْ بِاسْتِطَاعَةِ أُمِّي أَنْ تُوفِيَ وَحْدَهَا بِالطَّلَبَاتِ رَغْمَ مُسَاعَدَتِنَا لَهَا .

فَاسْتَعَانَتْ بِبَعْضِ نِسَاءِ الْحَيِّ مِمَّنْ أَنِسَتْ فِيهِنَّ الْكَفَاءَةَ وَالْإِخْلَاصَ. فَكُنَّ



عِنْدَ حُسْنِ الظَّنِّ . وَكَانَ الْعَمَلُ نَاجِحاً تَحَدَّثَتْ بِهِ أَلْسِنَةُ النَّاسِ فِي كَامِلِ أَحْيَاءِ الْبَلْدَةِ .





الْيَوْمَ هُوَ ثَالِثُ أَيَّامِ عِيدِ الْفِطْرِ . وَقَدْ حَضَرَتْ إِلَيْنَا النِّسَاءُ مِمَّنِ اسْتَعَانَتْ بِهِنَّ أُمِّي يُؤَدِّينَ لَهَا تَهَانِيَ الْعِيدِ ، فَقَدَّمَتْ لَهُنَّ أُمِّي طَبَقاً بِهِ بَاقَةٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْحَلْوَى وَالْمُرَطِّبَاتِ مِمَّا صَنَعَتْ أَيْدِيهِنَّ .

وَتَجَاذَبْنَ أَطْرَافَ الْحَدِيثِ :

ـ لَقَدْ قَضَيْتُ شَطْراً مِنْ حَيَاتِي فِي صِنَاعَةِ الْحَلْوَى وَالْمُرَطِّبَاتِ وَلَمْ تُنْتِجْ أَنَامِلِي أَحْسَنَ صُنْعاً

وَأَلَذَّ مَذَاقاً مِمَّا أَنْتَجْنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ .

- إِنَّ أَخِي لَا يَمِيلُ عَادَةً إِلَى الْحُلْوِ مِنَ الْمَأْكُولَاتِ ، وَلَكِنِّي لَمْ أَشْهَدْ مِثْلَ نَهَمِهِ أَمْسِ عِنْدَمَا قَدَّمْتُ لَهُ مِنْ هَذِهِ الْحَلْوَاءِ . بَلْ قَالَ لِي : « احْتَفِظِي بِمَا تَبَقَّى عِنْدَكِ فَلِي مَعَهُ عَوْدَةٌ ! »

- أَيُّ سِرٍّ هَذَا الَّذِي وَهَبَنَا هَذَا الْحِذْقَ وَهَذِهِ الْمَهَارَةَ الْفَائِقَةَ ؟

- حَقًّا ! مَا مِنَّا وَاحِدَةٌ لَيْسَتْ مِنْ شَهِيرَاتِ الصَّانِعَاتِ. وَمَعَ ذَلِكَ فَلَمْ نَحْصُلْ مِنْ قَبْلُ عَلَى إِعْجَابٍ مِنْ حُرَفَائِنَا يُضَاهِي مَا أَحْرَزْنَا عَلَيْهِ الْآنَ وَنَحْنُ مُجْتَمِعَاتٌ !

- الْقُوَّةُ فِي الاتِّحَادِ ! فَسِرُّ نَجَاحِنَا هُوَ اجْتِمَاعُنَا

وَتَعَاوُنِنَا ! فَكُلٌّ مِنَّا اسْتَفَادَتْ مِنْ تَجَارِبِ الْأُخْرَى !

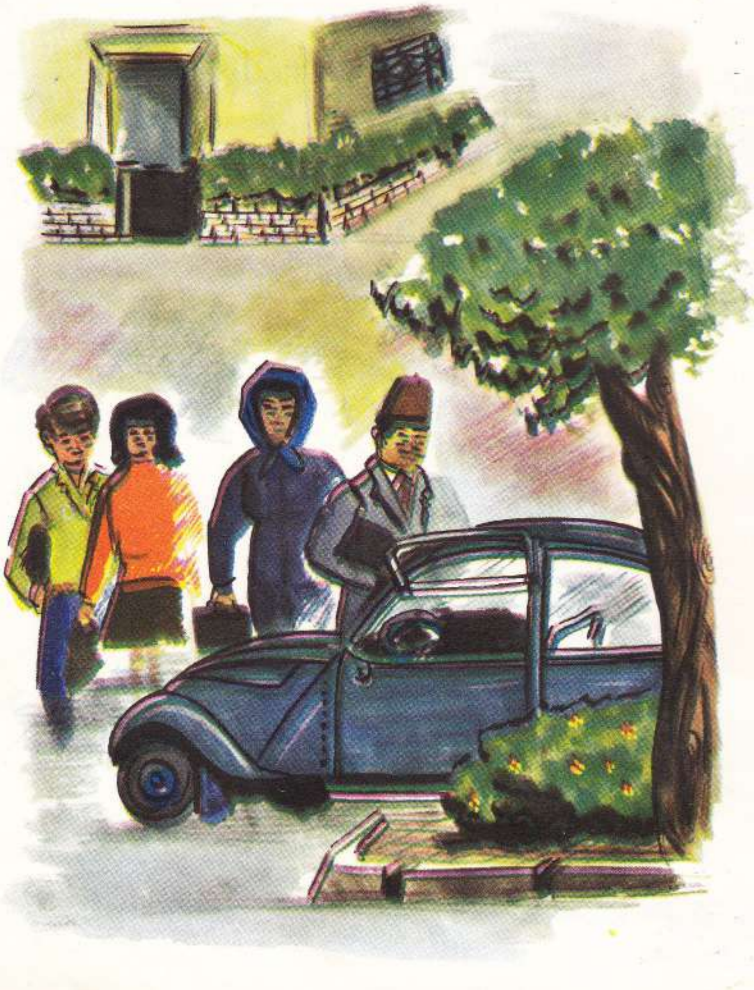
– إِذَنْ مَا رَأْيُكُنَّ لَوْ أَسَّسْنَا تَعَاضُدِيَّةً لِصِنَاعَةِ الْحَلْوَى وَالْمُرَطِّبَاتِ ؟

الْجَمِيعُ : « حَبَّذَا الْفِكْرَةُ ! فَلْنُوَاصِلْ نَجَاحَنَا بِفَضْلِ تَعَاضُدِنَا ! »

هَكَذَا تَأَسَّسَتْ « تَعَاضُدِيَّةُ أُمِّ السَّعْدِ لِلْحَلْوَى وَالْمُرَطِّبَاتِ » وَقَدِ انْتُخِبَتْ أُمِّي مُدِيرَةً لَهَا .

أَمَّا أَبِي فَقَدِ انْتَخَبَتْهُ الْجَلْسَةُ الْعَامَّةُ لِـ« تَعَاضُدِيَّةِ الإِزْدِهَارِ لِلدُّهْنِ وَالطِّلَاءِ » مُدِيراً لَهَا .

وَأَمَّا أَنَا وَأَخِي عَادِلٌ، فَقَدْ تَفَرَّغْنَا لِدِرَاسَتِنَا بِكُلِّ حَزْمٍ وَنَشَاطٍ .



وَهَكَذَا ، بِفَضْلِ تَعَاوُنِنَا وَتَعَاضُدِنَا ، وَبِفَضْلِ حَزْمِنَا وَكَدِّنَا ، نَجَحَتْ أُسْرَتُنَا وَتَمَتَّعَتْ بِفَرْحَةِ الْحَيَاةِ .

طبع بمصنع الكتاب
للشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج – تونس
D 20/3/84
فيفري 1984

مجموعة قصص الأطفال

الصّادرة في حجم 21 × 27

العصفور والملك
الفارس الصغير
قطي سوسو
النمر والسلحفاة
الأميرة عطاف
قاهر الذئب
طرزان وشيطا
ضياء القمر
سر النجاح
فويلتي
عمي سعيد السنفاج
أبو سنام
أمي سيسي
مغامرات بنت دنو
ابتسام ثريا
طيور وزهور

قميحة
أضغاث أحلام
العصفور الجريح
عمار صاحب الحمار
المعزة المعزوزية
الفراشة الراقصة
الأسد والبعوضة
حب الكدر
عمي الدحداح بياع التفاح
الديك والماعز والكبش والحمار
مستحضر الجنة
الوسام
الحصان الوفي
صراع في الحقول
من أدوار جحا
الصياد الصغير

الأرنب العنيد
انتقام الأرنب
الأمير فيروز
بنت صياد السمك
الزوجة المطيعة
ابن الأرض في السماء
العصفور الأخضر
حكايات جدتي
الجار الحسود
أغاني الطفولة
الطفل والفراشة الذهبية
الأهازيج (شعر للتلاميذ)
عليسة (مسرحية شعرية)
جمار جكتيس

سحب من هذا الكتاب 20.000 نسخة

الشركة التونسية للتوزيع
5 شارع قرطاج – تونس

السعر : 0،800 د.